شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلابنة

الفصل الثاني للعام ١٤٣٦

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هل الصوت واضح بارك الله فيكم؟ طيب.

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبينا ورسولنا، وبعد.

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر:١-٣] هذا هو المجلس الأخير في هذا الفصل الدراسي الذي نسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياكم من الذين استمعوا القول فيه فاتبعوا أحسنه، ونسأله أن يجعل ما تعلمنا في هذا الفصل الدراسي حجة لنا لا علينا.

وحتى لا يذهب الوقت، وقد كنت قد أشرت إلى الإدارة أن هذه المحاضرة ستطول قليلاً لأنا سنأخذ فيها بابين لكن نحاول أن نختصر لعل الله عز وجل أن يكتب لنا الانتهاء منه في الوقت القصير.

قال المؤلف –رحمه الله-: باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ [الأعراف:192-191]

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ [فاطر: ١٣-١٤].

وفي الصحيح عن أنس، قال: «شُج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:١٢٨]، وفيه:« عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: اللهم

العن فلانًا وفلانًا، بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:١٢٨]» الآية.

وفي رواية: «يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ [آل عمران:١٢٨]».

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ [الشعراء:٢١٤]، فقال: يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا. يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أغني عنك من الله شيئا. ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا».

(الشرح)

هذا الباب أخواتي بارك الله فيكم أورده المصنف –رحمه الله– بعد ما تقدم من أبواب ذكر فيها من الشرك كذا وكذا، وهذا الإيراد كما قال أهل العلم هو إيراد حسنٌ منه –رحمه الله– ويدل على علمه العظيم في هذه المسائل، وهي مسائل التوحيد، ذلك أن برهان وجوب توحيد الله عز وجل في الإلهية هو ما استقر وركز في الفطر من أن الله عز وجل واحد في ربوبيته وهذا ما شهدت به جميع النفوس لله عز وجل في عالم الذر، فهذا الباب وأيضًا الباب الذي بعده فيها برهان لاستحقاق الله عز وجل في العبادة أو للعبادة، واستحقاقه وحده دون ما سواه والأدلة على ذلك كثيرة يكفينا نحن الدليل الديني.

وهنا المصنف –رحمه الله– ذكر الدليل ماذا أخواتي بارك الله فيكم؟ ذكر دليلاً فطريًا أو دليلاً عقليًا أو واقعيًا، قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً [الأعراف:١٩٠-١٩١]، يعني أنت أو أنتِ إذا أردت أن تشركي بالله عز وجل، فعلى الأقل ينبغي أن يكون في هذا الشريك مع الله عز وجل صفة الخلق، فكيف تعبدون من دون الله عز وجل

ما لا يخلق أو ما لا يستطيع أن يخلق ولو ذبابة، فهذا من الأدلة العقلية أو الفطرية على هؤلاء الناس.

نحن أهل السنة والجماعة نكتفي بقال الله وقال الرسول صلى الله عليه وسلم، معي بارك الله فيكم، التي معي تكتب رقم خمسة حتى نرى من هي معنا ومن هي في المطبخ، طيب جيد، إذًا هذا الباب قلنا فيه بيان أن الله عز وجل هو الذي يخلق وحده، ولو وجد هناك من يخلق معه لاستحق العبودية،طيب قد يسأل سائل ويقول: هؤلاء الناس الذي يصنعون الطائرة ويبتكرون الأشياء، نقول لهم: الخلق المقصود هنا ويقولون: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون:١٤]، هناك خالقين غير الله.

نقول: المقصود بالخلق هنا الإيجاد من العدم، فمن يستطيع أن يأتي بشيء من العدم، لا أحد إلا الله عز وجل، واضح أخواتي بارك الله فيكم، فإن الله عز وجل هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير، هذه الثلاثة وغيرها لأجلها استحق الله عز وجل الربوبية، طبعًا كما ذكر الإمام الطحاوي: ليس بعد خلق الخلق استفاد الخالق، ولا بعد إحداث البرية استفاد اسم الباري، فهو الله عز وجل خالقٌ من قبل أن يخلق الخلق، وهو بارئ من قبل أن يبرأ الخلق، واضح هذا عندنا.

ثم ذكر أنهم ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ [الأعراف:-191 192]

، يعني ذكر أن هؤلاء الآلهة، يعني ذكر مزيدًا من صفاتها السيئة أو ذكر مزيدًا من صفاتها التي توحي بضعفها، ذلك أنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، فإذا كانت لا تستطيع أن تدافع عن نفسها فكيف تستطيع أن تدافع عمن يعبدونها ولهذا كان الرد من الله عز وجل على المشركين في هذه الآية ردًا عقليًا فطريًا، نسأل الله عز وجل أن يهديهم، ففي هذا الباب دليل من أدلة التوحيد، توحيد الربوبية أن الله عز وجل واحد في ربوبيته وهو الخلق.

قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ يعني في العبادة كيف، وهذا قال الاستفهام، استفهام استنكاري توبيخي من الله عز وجل يعنف فيه على المشركين كيف تشركوا بالله عز وجل شيئًا مخلوقًا ما لا يخلق، وما الأصل أن تكون لغير العاقل، وهذا فيه مزيد من التكييف لهم، قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ يعني هو جماد لا يوجد فيه حياة.

وقد تأتي ما للعاقل، لكنها قليلة كما ذكر ذلك ابن عقيل في شرح الألفية، فقوله: { أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً } شيئًا نكرة، نكرة في سياق النفي فتفيد ماذا أخواتي بارك الله فيكم؟ تفيد العموم، أحسنتم بارك الله فيكم، قال:{ وَهُمْ يُخْلَقُونَ } وهم يخلقون هذا وصف لهذه الأصنام وهذه المعبودات وصف لها بالنقص أنها هي نفسها مخلوقة، بل من مزيد نقصها أن الذي يعبدها إذا جاء في آخر النهار أكلها، إذا صنعها من تمر أو ما شابه هذا، فهذا جهل فوق جهل والعياذ بالله.

قال: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعني متصفون بالنقص، ثم ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً﴾يعني لا يستطيعون لا يقدرون على نصر من يعبدهم إذا هاجمهم عدو أو ما شابه ذلك، قال: ﴿وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾حتى لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فالله عز وجل بين عجز هذه الأصنام وأنها لا تصلح أن تكون معبودة من أكثر من وجه.

أول وجه في هذه الآية ما هو أخواتي بارك الله فيكم؟ أنها يشركون : ١- ما لا يخلق، أنها لا تخلق، قال: ٢- وهم يخلقون، لا في نفس الآية الأولى أختي بارك الله فيك، وهم يخلقون، ثم لا يستطيعون نصر من دعاهم واستغاث بهم واستنصرهم، وأخيرًا أو رابعًا: أيضًا أنهم لا يستطيعون نصر أنفسهم، نسأل الله العافية.

ثم ماذا قال الله عز وجل، أو ماذا قال المصنف؟ قال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾الذين تدعون، الدعاء هنا يدخل دعاء المسألة ودعاء العبادة، يعني وأيضًا الذين تدعون من دون الله عز وجل، يعني كل من تدعوهم ممن هو، ممن هم من دون الله عز وجل، يعني سوى الله عز وجل، ما يملكون، ما هنا نافية، طبعًا ما في اللغة لها معاني كثيرة، بعضهم قال: عشرة وبعضهم قال: إحدى عشر، وبعضهم جمعها قال:

محاملُ "ما" عَشْرٌ إذا رُمْتَ عَدَّها . فَحَافِظْ على بيْتٍ سليم من الشِّعْرِ
سَتَفْهَمُ شَرْطَ الوَصْلِ أَعْجَبْ بِنُكْرِها . بِكَفٍّ وَنَفْي زيدَ تَعْظيمُ مَصْدَرِ.

هذه عشر معان لما، ليس هنا مكان شرحها في اللغة، طيب قال: **مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ** يعني نفى الله عز وجل عن أولئك الذين يعبدونهم بأنهم لا يملكون في هذه الدنيا من قطمير، القطمير إيش هو أخواتي بارك الله فيكم؟ القطمير هو الغشاء الذي يكون على نواة التمر، اللفاف وهنا قد تسأل سائلة وتقول: كيف لا يملكون من قطمير ونحن نملك البيوت والسيارات، نقول: هذا الملك ليس ملكًا دائمًا، هذا الملك يسبقه إيش أخواتي بارك الله فيكم؟ هذا الملك يسبقه عدم ويعقبه أيون ماذا بارك الله فيكم، يعقبه أيضًا عدم ونفاء، أحسنتم بارك الله فيكم.

ومن باب الفائدة في النواة ثلاث أشياء ذكرها الله عز وجل في القرآن في بيان حقارة هذا الشيء، أول شيء: القطمير،ثم الفتيل ثم النقير، قطمير فتيل نقير، والقطمير هو اللفافة الرقيقة التي على النواة كما ذكرت الأخت بارك الله فيها، والفتيل هو سلك يكون في الشق الذي في النواة، النواة يكون فيها مثل الشق هذا أو الخط، يكون مثلاً الشق مثل السلك سبحان الله، هذا يسمى الفتيل.

النقير هو النقرة التي تكون على ظهر النواة، الآن أخواتي بارك الله فيكم الفتيل معروف، لو نقلب الفتيل الجهة الثانية نجد أن هناك نقرة في نصف التمرة سبحان الله على ظهرها هذه التنقير، فهؤلاء لا يملكون من قطمير ولا من فتيل ولا من نقير والعياذ بالله، وهذا تحقير وتبكيت لهم لهؤلاء الكفار، يعني كيف تعبدون معبودات وآلهة لا تملك حتى غشاء ليس التمرة غشاء نواة التمرة نسأل الله العافية.

هذا الملك الذي قد يتكلم فيه البعض ويتبجح فيه، يقول: أنا أملك بيوتًا، نقول له: أنت ملكك، أنت ملكك ناقص، ملك غير حقيقي يسبقه عدم ويأتي بعده فناء، وحتى في هذه الدنيا لا تستطيع أن تتصرف في هذا الملك على حسب هواك، فلو أن إنسانًا وجد في الشارع يحرق ماله دينارًا، دينارًا أو ريالاً ريالاً، فماذا سيصنع الناس يهجمون عليه

ويأخذون منه هذا المال، أليس كذلك، ثم بعد ذلك يحجر عليه، يسمى سفيهًا ويؤخذ المال منه، تخيلوا، وهو ماله وله الأحقية في أن يتصرف فيه، لكن تصرفًا تصرفًا ناقصًا.

قال: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾جملة شرطية يعني يا أيها الذين تدعون من دون الله اسمعوا وانظروا إن تدعوهم إذا دعوتهم هؤلاء الآلهة ﴿لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ولو فرضنا جدلاً هذا من باب التنزل مع العدو أو مع المناقش، ولو سمعوا يعني ولو فرضنا أن هؤلاء الأصنام يسمعون ما دعوتهم، فإن هؤلاء إيش أخواتي بارك الله فيكم ماذا قال الله عز وجل؟ ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ يعني لا يستطيعون أن يلبوا ما تدعوهم إليه، يدافعون عنكم، كذا خلاص ثم قال الله عز وجل﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً [الأحقاف:٦]، فهؤلاء المعبودين إذا كانوا يوم القيامة ممن يتكلمون، فإنهم أول شيء سيقومون بالكفر بشرك هؤلاء والاعتذار إلى الله عز وجل، والاعتذار وأيضًا يضرعون إلى الله عز وجل بالشكوى من هؤلاء المعبودين، وأولهم الشيطان، الآية أخواتي بارك الله فيكم، من تحفظها؟ ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾، وماذا قال، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ يعني أنا بس دعوتكم ثم ماذا قال؟ في نهاية الآية ماذا قال؟ قال: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ هنا وجه الشاهد، من تحفظ الآية ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ [إبراهيم:٢٢] نسأل الله السلامة.

ثم ماذا قال الله: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍهذا مثال يضرب بمن أخبر بخبر أو رأى رؤيا وأخبر عنها أو سمع شيئًا متأكدًا منه وأخبر عنه ثم رأى من السامعين من يشك في خطابه، فيقول تأكيدًا لقوله : ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ يعني لا يخبرك بالخبر هذا مثل خبير به، وهو يخبر وهو هنا من هو؟ الله عز وجل؛ لأنه لا يعلم أحد ما يكون يوم القيامة إلا الله، فإن خبر الله عز وجل صدق، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا [النساء:١٢٢].

ثم قال: وفي الصحيح عن أنس، الصحيح هنا المقصود به البخاري ومسلم وإن كان في البخاري معلقًا، لكنه موجود في الصحيحين، قال: **وفي الصحيح عن أنس، قال: «شُج** ، هنا سنأخذ إيش هو شج، شج، وفي الصحيح عن أنس، قال: «**شُج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكسرت رباعيته**»، أحد معروف الجبل في المدينة النبوية، وبعض الناس يقول: المدينة المنورة، وهذا خطأ شائع، والصواب ن نقول المدينة النبوية أو المدينة، فإن كل بلد دخله الإسلام فهو منور، واضح أخواتي بارك الله فيكم، كل بلد دخله الإسلام فهو منور بالإسلام، أما تسمية المدينة بالمنورة فلم يكن معروفًا عند سلفنا الصالح، نسأل الله أن يعلمنا وأن يفقهنا في الدين، نعم فيها مخالفة لما كان عليه السلف، والأصل أن تكون التسمية كما وجدت في زمن سلفنا الصالح.

قال:«**شج**» الشج هو الجرح في الرأس أو في الوجه، يعني هو خاص في الوجه أو في الرأس، شج، ويكون بضرب الرأس بشيء فيجرحه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء، طبعًا الرباعية بفتح الراء، رباعيته، « **وكسرت رباعيته**» وليس رُباعيته، هي كل سن، الأسنان الأمامية تسمى الثنايا، أول السنيين الأمام، الثنايا اثنين من تحت واثنين من فوق، ثم يأتي بجانبهما الرباعية وهما أربعة أضراس بجنب الثنايا، واضح أخواتي بارك الله فيكم، فللإنسان أربع رباعيات.

كسرت هنا ليست خلعت، كسرت، هي لم تقلع من أصلها رباعية النبي صلى الله عليه وسلم هي كسرت يعني ظل منها شيء، واضح أخواتي بارك الله فيكم، «**قال النبي صلى الله عليه وسلم: كيف يفلح**» ، الفلاح هو الفوز، الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ ينهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو على أمته، والأمر يعني الشأن، ليس لك في هذا الشأن شيء، فالأمر أمر الله، والشأن شأن الله.

الإسلام والإيمان بيد الله عز وجل، لذلك الآن سيأتينا في الرواية الثانية لما ذكر أسمائهم جميعهم أسلموا، سيأتينا هذا بعد قليل، قال: وفيه: «**عن ابن عمر رضي الله**

عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع»

الحديث، الدعاء في القنوت، أو القنوت مسألة فقهية، لكن بشكل سريع، القنوت سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم في النوازل ويكون فيكل الصلوات،وورد في الشرع كما في البخاري أن القنوت قد يكون قبل الركوع وبعد الركوع، لكن تخصيصه في صلاة الفجر في كل يوم من أيام السنة، هذا لم يثبت عن سلفنا الصالح، فالثبات عليه قد يكون فيه شيء والله تعالى أعلم خلافًا للشافعية، والمسألة كما قلت لكم مسألة طويلة بحثها في كتب الفقه.

النبي صلى الله عليه وسلم هنا كان يقنت قنوت النوازل، ماذا يقول؟ يقول: اللهم العن فلان وفلان، واللعن هو الطرد من رحمة الله، الطرد وكما قلنا الرواية الثانية بينت، اللهم العن صفوان بن أمية والحارث وسهيل بن عمرو، كما ورد معنا في الحديث قبل قليل، وهؤلاء الثلاثة سبحان الله أسلموا وحسن إسلامهم رضي الله تعالى عنهم، فتأملوا بارك الله فيكم، لو أن الله عز وجل استجاب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لماتوا على الكفر، حتى وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم، فليس له من الأمر شيء، حتى وإن كان هو أشرف الخلق عند الله عز وجل وهو أفضل الناس عند الله عز وجل إلا أنه ليس له في هذه القضية شيء، فالناس إيمانهم وكفرهم عند الله عزّ وجل هو الذي يدخل من يشاء في رحمته ويطرد من يشاء من رحمته.

لذلك هؤلاء الثلاثة لو استجاب الله عز وجل دعاء النبي لكانوا من أعتى العتاة ولكن الله عز وجل جعلهم من أنصار هذا الدين ومن أسلموا وحسن إسلامهم فأصبحنا نقول عنهم رضي الله عنهم، ثم قال: وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خطيبًا حين أنزل الله عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] هذا الحديث أيضًا في صحيح البخاري أيضًا في صحيح البخاري فهو صحيح، وفي بعض الألفاظ ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قام على جبل الصفا وقد تستغرب بعض الأخوات وتقول: جبل الصفا غير موجود الآن، نقول: نعم أخذ منه

وأدخل الحرم، وإلا وهو في الزمان المنصرم كان بعيدًا عن الكعبة وكان الناس يجتمعون عنده؛ لأنه كان قريبًا من أقرب الجبال إلى بيت الله الحرام، قال: قام يعني خطيبًا خطب الناس، «**حين أنزل الله عليه**» يعني حينما نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية، أنر يعني خوف، والإنذار يكون إعلامًا مقرونًا بتخويف، أنذر من؟ أنذر عشيرتك الأقربين، وهذا فيه دليل على أن الرجل يبدأ بدعوته الأقرب فالأقرب من أهل بيته يخرج إلى أقربائه.

قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: «**يا معشر قريش**» نادهم، ثم أصبح يقرب الدائرة يا فلان يا فلان والحديث طويل مفاده أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين لهم أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا، وهذا هو الشاهد من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ماذا أخواتي بارك الله فيكم؟ لا يغني عنهم من الله شيئًا بقرابته، فكل المطلوب منه أن يعمل حتى فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم مطلوب منها أن تعمل، لذلك ختم بها، قال: « **ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت** » والجواب مقدر تقديره، فأعطيك، لكن ماذا قال؟ قال: « **لا أغني عنك من الله شيئاً** »، «**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**» كما في الحديث، واضح أخواتي بارك الله فيكم.

ثم قال في الباب الذي بعده:

قول الله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سبأ:٢٣].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله، وأرجو أن ننتبه إلى هذا الحديث لأن في بعض كلماته صعوبة.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :«**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله،**» ويجوز أن نقول خَضعانًا لقوله الروايتين، جيد أخواتي خَضعانًا من الخضوع، أو خُضعانًا، «**كأنه سلسلة على صفوان**» الصفوان هو الحجر الأملس،«**كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك** ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**

[سبأ:٢٣]، **فيسمعها مسترق السمع**» (الجن) – قال: «**ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض – وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه – فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته**»، يعني الشياطين يصعد بعضهم فوق بعض هكذا إلى السماء، قال:« **فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن .فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة. أو مائة كِذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**». وهذا في البخاري، هذا الحديث في البخاري.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة – أو قال** (يعني أحد الرواة) **رعدة – شديدة خوفًا من الله ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا، وخروا لله سجدا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله**»

هذا الحديث بعض أهل العلم طبعًا ضعفه وبعضهم صححه أو حسنه، وهو في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني، لكن أظن أن غالب أهل العلم على تضعيفه، ومناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أخواتي بارك الله فيكم أن فيه برهانًا على أن المستحق للعبادة هو الله تعالى، وهذا الباب فيه ذكر لصفات الله عز وجل، طيب فهذا الباب يبين بطلان الشرك بالله عز وجل، وبطلان عبادة غير الله عز وجل، فبعضهم قد يعبد الملائكة ظانًا منه أنها أعظم المخلوقات أو أنها أعظم في هذا الفضل، فالله عز وجل بين حالهم هنا، كيف يكونون إذا أوحى الله عز وجل بالأمر.

وهذا أيضًا فيه دليل على بطلان عبادة الصالحين أو على بطلان عبادة السحرة الذين يأخذون بعض كلامهم من الشياطين المردة فيكذبون معه مائة كَذبة أو مائة كِذبة، طيب قال: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ﴾ يعني أزيل وفرغت قلوبهم من الفزع، ﴿فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني إذا أزيل الخوف عن قلوبهم، ماذا قالوا؟ ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ هذه المسألة فيها خلاف عند أهل العلم، من هم الذين فزع عن قلوبهم، والراجح أن الذي فزع عن قلوبهم هم الملائكة، واضح أخواتي بارك الله فيكم.

طيب ما هو سبب فزع الملائكة؟ سيأتينا الآن، ما هو سبب فزع الملائكة، سيأتينا بعد قليل وهو وحي الله عز وجل.

قال: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا﴾ فيه دليل على أن للملائكة قلوب وأيضًا لها أجنحة وأن الملائكة تفزع، فكل هذه من علم الغيب ونؤمن بها كما هي، فماذا قال بعضهم لبعض، ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ يستفهمون ويجاوب بعضهم على البعض الآخر، ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ يعني قالوا: قال القول الحق، قال القول الحق.

طيب هل هم سمعوا كلام الله عز وجل، هي هكذا كلمة إجمالية، الذي يعني أنها كلمة إجمالية، قد لا يسمعون قول الله عز وجل، فبعضهم يسمع وبعضهم لا يسمع، ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ اسمان من أسمائه سبحانه وتعالى.

قال: وفي الصحيح يعني وفي البخاري، قضى الله عز وجل، القضاء هنا المراد به القضاء الكوني، هكذا يدل سياق الحديث، قضى الله عز وجل الأمر قضاء كونيًا قدريًا، والأمر المقضي هنا هو أمر عام، أن يكون كذا وكذا، «**ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا**» وكما قلت لكم أو خُضعانًا، «**كأنه سلسلة**» هو شبهه بالسلسلة، التشبيه لماذا أخواتي بارك الله فيكم؟ إما أن يكون لكلام الملائكة يعني لضرب الملائكة بأجنحتها، فإنها تصدر صوتًا كسلسلة، كسلسلة ماذا في الحديث؟ سلسلة من حديد على صفوان، أو أنه الفزع الذي يحصل في قلوب الملائكة مثل الفزع الذي يحصل فينا، تجر هذه السلسلة على حصاة ملساء، على حجر أملس، واضح بارك الله فيكم.

وبعضهم قال هو تشبيه، وبعضهم قال هو تشبيه، والذي يظهر أن هذا يحتمل ما قلنا، يحتمل أن يكون هو صوت ضرب الملائكة أو هو الفزع الذي يحصل في قلوب الملائكة، قال: «**ينفذهم ذلك**» يعني يمضي في الملائكة هذا الصوت حتى يبلغ فيهم كل مبلغ، يعني يصل إلى جميع الملائكة، فالحديث هنا يبين لنا سبب فزع الملائكة وهو سماعهم كلام الله عز وجل، وسماع بعضهم لكلام الله عز وجل، وقد يكون سبب هذا الفزع، ليس فقط في الملائكة بل هو يشمل جميع أهل السماوات، واضح أخواتي بارك الله فيكم.

وهذا الذي يأتينا بعد قليل هو يسمعها مسترق السمع، هذا الذي يظهر أنه قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن مسترقي السمع كانوا كثيرًا قبل النبوة، لكن لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم، خلاص توقف سماعهم، فلم يكونوا يستطيعون السماع بعد ذلك، وأي واحد من الجن إذا أراد أن يسترق السمع ماذا حصل معه بعدها، ماذا حصل له؟ أصابه الشهاب، فالسماع كان كثيرًا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي يظهر أنه بعد ما توفي النبي صلى الله عليه وسلم الآن موجود لكنه قليل، لكنه في أثناء البعثة، بعثة النبي صلى الله عليه وسلم غير موجود لماذا؟ حتى لا يقول قائل: إنهم استرقوا شيئًا من كلام الله عز وجل، القرآن ونقلوه إلى أولئك الذين كذبوا.

قال: «**فيسمع الكلمة**» يعني التي يسرقها المسترق، ثم يبقى يتكلم بها كل واحد إلى الآخر حتى تصل إلى الساحر، الشاهد

أخواتي أن الملائكة تخضع وتفزع فكيف تعبد وكيف يستغاث بها وهي نفسها الملائكة نفسها تخاف وتفزع من الله عز وجل فإذا كانت الملائكة كذلك، فكيف حال الصالحين أو الأحجار يكون أولئك من باب أولى، واضح أخواتي بارك الله فيكم.

قال: وعن النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه، الحديث، حديث النواس بن سمعان هذا رواه ابن جرير كما قلنا لكم، والحديث متكلم فيه في ضعفه، لكن نحن نقول بالجملة إن هذا الحديث اشتمل على معاني عظيمة، من هذه المعاني: أن الله عز وجل إذا أراد أن

يوحي بالأمر تكلم فيه، وهذا يشهد له عموم الآيات والأحاديث، فقال: «**أخذت السماوات منه رجفة**» أو قال: «**رعدة**» وهذا الكلام ذكرته قبل قليل وقلت إنه قد يكون الذين يخافون من الله عز وجل، وليسو هم الملائكة فقط بل هم جميع أهل السماوات، قال: «**فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجدًا لله عز وجل**»، ثم يكون أول من يرفع جبريل، فيه ذكر لعظمة هذا الملك جبريل عليه السلام، فيكلمه الله عز وجل ثم باقي الحديث فيه مثل باقي الحديث الأول، يعني هذا بشكل عام وإلا فهذا الباب فيه من إثبات الصفات خلافًا للمعطلة والأشعرية، وفيه كلامٌ يعني تفصيل كثير لكن هذا هو أهم شيء في هذا الباب.

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، هذا والله تعالى أعلى وأعلم ونسبة العلم إليه أسلم، وجزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم، أسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الفصل أن يجعله طريقًا في رقينا في فهم كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وفي تقعيد العقيدة في قلوبنا ونستودعكم الله عز وجل على أمل أن نلقاكم في فصول أخرى، هذا والله ما بحثتها لعلنا في المنتدى نبحثها، لعلنا في المنتدى نبحثها، طيب وإن لم نبحثها ففي الفصل الثاني إن يسر الله عز وجل لنا تدريس هذه المادة، المادة الثانية تكملة فلعلنا نجاوب هذه الأسئلة، أرجو منكم أن تجتهدوا لأن أسئلة الامتحان صعبة، هي من الشرح، لكنها تحتاج إلى دراسة، والعلم لا ينال براحة الجسد، وما كان منا من تقصير فسامحونا، وإذا كانت ثمة فائدة فانقلوها بارك الله فيكم، لعل الله عز وجل أن ينفع بكم الإسلام والمسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.